



جامعة تكريت

كلية التربية للعلوم الانسانية

قسم التاريخ

المرحلة/ دكتوراه اسلامي

المادة: انتشار الإسلام

استاذ المادة: أ.د. خالد محمود عبدالله

المحاضرة السابعة

دولة صنغي أو صنغاي ((السونغاي))

دولة صنغى أو صنغاي ((السونغاي))

بلغت إمبراطورية غانة ومملكة مالي الإسلامية شأنًا عظيمًا، إستطاعتا السيطرة على بطاح شاسعة من مناطق غربي أفريقيا، ولكن أياً من هاتين القوتين لم تبلغ ما بلغته إمبراطورية صنغاي من القوة والسيطرة خلال القرنين التاسع والعاشر الهجريين/ الخامس عشر والسادس عشر الميلاديين.

الصنغى ((صنغاي)) قبيلة من أهل السودان الغربي يسكنون من قديم الزمان على ضفاف نهر النيجر الأوسط، وميدنتهم الكبرى جاو التي أصبحت عاصمة دولتهم، وتمتد بلادهم حتى تشمل المساحة الواسعة في انحاء النيجر الأكبر.

تجاور صنغى من الشمال جماعات من الطوارق، وهم خليط من سكان الصحراء القدامى والبربر وبقايا المرابطين، والطوارق يسيطرون على طرق الصحراء الكبرى التجارية وواحاتها، وتجاور صنغى من الغرب والجنوب جماعات شتى من أهالي السودان أهمها الماندنجي والموسى والكعارتة، وتمتد بلاد صنغى شرقاً حتى تتصل بالبرنو والكانم في اقليم تشاد.

بدأت المرحلة الهامة في تاريخ صنغاي خلال منتصف القرن الخامس الهجري/ الحادي عشر الميلادي حين اعتنق ملوكها الاسلام، وبدأ يتسرب بين سكانها، وقد تم ذلك قبل مجيء المرابطين، وفي سنة ٤٠١هـ/ ١٠١٠م استولت على جاو بمؤازرة البربر، ثم أسسوا مملكة حول مدينة كوكيا، وقد علّم البربر سكان صنغاي في هذه المنطقة طرق استخدام الحديد وتحويله إلى أدوات للزراعة والقتال.

من فروع الصنغى ((السونكو)) وكانوا يعملون في صيد الأسماك في نهر النيجر، وربما يكون أصلهم من مهاجرة العرب، وهناك اسطورة شعبية تؤيد هذا القول، فتزعم أن مهاجرين بربريين وصلا إلى حوض النيجر الأوسط عبر الصحراء، وكانا ذوي

علم وتجربة فتمكنا من كسب ثقة الصنغى، فبايعها هؤلاء ملكين عليهم، وجاب من بعدهما أولادهما الكثيرون .

انتهت المرحلة الأولى في حياة هذه الدولة مع ظهور وسيطرة مملكة مالي الإسلامية على جميع المدن الواقعة على نهر النيجر، ومن بينها مدينة جاو، ولكن أمراء صنغاي ظلوا يحتفظون بطموحهم كما كانت شعوبهم تمنحهم المحبة والولاء، وتعاقب على حكم صنغاي أكثر من أربعين أميراً، كان حكمهم إسمياً، ولم ينلهم أي تعسف أو اضطهاد من ملوك مالي، لأنهم كانوا يدينون بالاسلام، ولأن تجار صنغاي كانوا قادة التجار، بفضل إمتيازات سوقي جاو و كوكيا، اللذين شاعت شهرتهما في تلك الفترة ببيع العبيد مقابل المصنوعات الوافدة عليهما من البحر المتوسط.

خضعت صنغاي للسيطرة المالية في عهد منسا علي ٦٥٣-٦٦٩هـ / ١٢٥٥-١٢٧٠م، باستثناء العاصمة جاو، التي امتنعت على جيوشه، وأخذ منسا علي ولدي ملك صنغاي زايابسي، وهما علي كولف و سلمان نار، كرهائن ليضمن ولاءه وإنقياده لطاعته.

دبر الاثنان فكرة الفرار من قبضة سلاطين مالي، فعلي كولن كان يرغب في بعض الاحيان لطلب المنفعة، ثم بعد ذلك يرجع، وقد عُرف عنه إنه لبيب عاقل فطن كئيس، وأخذ يزيد في الغيبة إلى أن عرف دروب صنغاي، فأضمر الخلاف والهروب إلى بلده، واستعد لذلك بما يكفي من المؤن والأسلحة، وأطلع أخاه على السر، وأخذا جواريهما وتوجها إلى صنغاي، وعندما أحس بهما صاحب مالي أرسل في طلبهما رجالاً ليقتلوهما، إلا أن الأخوين إستطاعا النجاة من قبضة الرجال واللاحق ببلدهما، وقد تولى علي كولن أمر صنغاي إلى أن توفى فخلفه أخوه سليمان نار، إلا أن هذا الأمر لم يدم طويلاً، فعندما تولى ساكورة أمر مملكة مالي ٦٨٤-٧٠٠هـ قاد جيشه

لإعادة السيطرة على صنغاي، وقد استطاع الاستيلاء على عاصمتها جاو، وقد توالى الحملات بعد ذلك على صنغاي، ولما عاد السلطان منسا ككن موسى من أداء فريضة الحج سنة ١٣١٥م أمر قائده سجمان الذي يسميه ابن خلدون سقمنجه، فغزى صنغاي واحتل عاصمتها جاو، ثم زارها ككن موسى وابتنى فيها جامعاً، وترك فيها حامية، وأخذ عدداً من رؤسائها وأبناء أمرائها رهائن، وفرض عليهم الجزية، ثم دخل ككن موسى مدينة تنبكت، وكانت خاضعة لصنغاي، وقد رحّب به أهلها، لأنهم كانوا يثنون من سلطان صنغاي عليهم، وفيها بنى داراً للحكم وجعلها مستقر حكمه سنة ٧١٨-٧١٩هـ/١٣١٨-١٣١٩م.

ب وفاة منسا موسى عام ٧٣٨هـ/١٣٣٧م وحدثت اضطرابات بالمملكة، تنفست صنغاي الصعداء وأخذت تشق عصا الطاعة على سلاطين مالي، بل تجرأت على مهاجمة الحدود الشرقية للملكة والسيطرة عليها، الأمر الذي أجبر ماري جاطة، وزير الملك المالي موسى الثاني عام ٧٧٦-٧٨٩هـ/ ١٣٧٤-١٣٨٧م على تجريد حملة عسكرية لاسقاط جاو، إلا أن الحملة باءت بالفشل ولم تحقق أغراضها، ومن ذلك التاريخ تخلصت صنغاي نهائياً من سيطرة مالي.

أما المرحلة الثانية :

بدأت عندما صارت صنغاي تحت زعامة سُن علي كولن، في بناء قواتها العسكرية، لقب سُن أو سُن، معناه المحرر أو خليفة السلطان.

في حوالي سنة ٨٢٣هـ/١٤٢٠م، تمكن سُن محمد داع، وهو السلطان العاشر في سلسلة ملوك سُن، من تخريب معظم بلاد مالي، وخاصة عاصمتها، وأن يأسر الكثير من عبيدها، وجاء بعد سن محمد داع، سن محمد لوكيا، وسن محمد فار، وازدهرت في عهد سن سليمان دام الذي توفي سنة ٨٦٩هـ/١٤٦٤م، والذي ضم إلى

صنغاي بلاد ميم، وهي من أقاليم مالي الشمالية. وتولى بعد إبنه سن علي الذي يعتبر المؤسس الحقيقي للدولة، ...

سن علي الثاني ٨٦٩هـ/١٤٦٤م

هو سن علي بن سليمان دام، وينتسب إلى اسرة ضياء التي نزحت من طرابلس الغرب واستقرت في تلك الأماكن.

تربى سن علي في بيت أخواله بعد أن فارق والده أمه، وقد اهتمت به أمه وأخواله، ورجوا فيه الخير، فكانت له شخصية مستقلة منذ نعومة أظافره، تعلم الفروسية وفنون الحرب، وظهرت شخصيته القيادية منذ صباه وتفوق على أقرانه، وهذا ليس غريباً عنه، لأنه من بيت توارث الحكم، وله وزنه في المجتمع السوداني.

تولى سن علي أمر البلاد سنة ٨٦٩هـ/١٤٦٤م، بعد وفاة أبيه، وكانت أولى أعماله بعد توليه، التخلص من خصومه واتجه بعدها نحو البلاد، وما كانت تعانيه من عدم التخطيط للحكم بصورة محكمة، والقدرة على القيادة، فانتزعها من مملكة مالي الإسلامية، وأخذ يعمل على تكوينها والصعود بها إلى مصاف الامبراطوريات المترامية الأطراف، وتحويلها من دولة صغيرة قابعة تحت سيطرة الآخرين إلى إمبراطورية عظيمة الاتساع، تسود منطقة شاسعة من غرب افريقيا.

إتخذ فلسفة خاصة به في تسيير دفة الحكم، أتمت بالجدية والحزم، فجرت عليه هذه السياسة السخط والتذمر من قبل شخصيات المنطقة وعلمائها، الذين لم يترك لهم مجالاً للهيمنة على سياسة الدولة مثلما كان في السابق، ومن هذا المنطلق ناصبوه العداء، وشنوا عليه حرباً دعائية محاولة منهم لتشويه شخصيته القيادية، ونعتوه بعدة نعت منها الظالم والفاسق والكافر والقاتل، لذا وصفه أحد المؤرخين: كان ذو قوة عظيمة وبنية جسمية، ظالماً فاسقاً، متعدياً متسلطاً سفاكاً للدماء، قتل

من الخلق ما لا يحصيه إلا الله تعالى، وتسلب على العلماء والصالحين بالقتل والاهانة.

كان كرهه لرجال العلم والفقهاء مردّه فيما يبدو، إلى نفوذهم القوي في المدن وبين القبائل، ذلك النفوذ الذي كبّل يديه في أكثر من ظرف، فهو يأبى في نفسه أن يصبح أسيراً كملوك مالي الذين شاهد صنيع العلماء بهم، ولهذا بادر إلى تخريب مدينة تنبكت ولاحق علماءها بالقتل واتخذ من بناتهم جوارى له، ولذلك شكك الكثيرون في اسلامه وعدّوه مسلماً بالاسم، أو وثنيّاً متظاهراً بالاسلام، ومرد ذلك يعود إلى إبقاءه الكثير من العادات والتقاليد الوثنية، فضلاً عن اعتدائه على الجوامع ... ، وفي المقابل مدحه عدد من المؤرخين القدامى من أمثال حسن الوزان الذي قال في حق سن علي، كان رجلاً عظيماً. ونستشف عن ذمّه وبخاصة من المؤرخ محمود كعت الذي تحامل على سن علي، أن كعت كان معاصراً لسن علي، ويبدو إنه لم يحظ برعايته، مما أوغل صدره، فوجد الفرصة سانحة للتهجم عليه.